

عمر والحجاج

قال عبد الملك بن مروان للحجاج :
ما من أحد الا وهو عارف بعيوب
نفسه .. فعب نفسك ولا تخبأ منها
شيئا .. قال :

- يا أمير المؤمنين انى لجوج حقوق
فقال له عبد الملك :
- اذن بينك وبين ابليس نسب
فقال الحجاج :

- ان الشيطان اذا رآنى سألنى

قال عمر بن عبد العزيز :
- لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا
بالحجاج لغلبناهم !

الحجاج وحفيد أبى بكر

هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه أبو بكر الى المدينة ومكثا فى الغار ثلاث ليال تضليلا للمطاردين . . وكانت أسماء بنت أبى بكر تنقل الطعام للنبي ولأبيه إذا كان الليل . .

ولقد نالها بعد رحيل أبيها مع الرسول أذى كبير . . اذ أتى بيت أبيها نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على الباب فخرجت عليهم فقالوا :

– أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟

ف قالت لهم :

– لا أدري أين أبى . . .

فرفع أبو جهل يده ولطم خدها لطمة قوية أطاحت قرطها . .

وبعد ذلك بستة وثلاثين عاما كان زوجها الزبير بن العوام وابنها عبد الله يقاتلان عليا فى واقعة الجمل . . وقتل الزبير وكاد يقتل ابنه عبد الله . . ولكنه نجا . . فعاد الابن الى أمه أسماء دون أبيه

وكان عبد الله من صغره شجاعا شديدا البأس ، وأول ما

علم من عمته أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان . . فمر بهم عمر بن الخطاب . . ففر الصبية ووقف هو . . فقال له عمر :

- مالك لم تفر معهم ؟

فقال الطفل :

- لم أجرم فأخافك . . ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك !

ومرت السنين وهرمت أسماء ، وكبر عبد الله واشتد . . وعلا أمره بعد موت يزيد بن معاوية ، حتى استخلف في الحجاز وبايعه أهل مصر والعراق ، ولكن مروان أعاد مصر الى حظيرة بنى أمية ثم مات وترك الامر من بعده لابنه عبد الملك في الشام ولابنه عبد العزيز في مصر . .

واشتد النضال بين الخلافتين ، والتنافس بين الزعامتين زعامة عبد الله بن الزبير على الحجاز والعراق ، وزعامة عبد الملك ابن مروان على الشام ومصر . . حتى لقد صرف عبد الملك الناس عن الحج وبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الاقصى وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يقف بالناس بمصر يوم عرفات . .

وكانت الفتنة لا تفتقر بين عبد الملك وابن الزبير وكانت الحروب تشتد عاما بعد عام حتى سار عبد الملك بنفسه الى العراق وهزم جيش مصعب أخى عبد الله بن الزبير وواليه

على البصرة وما زال مصعب يقاتل حتى قتل • ودخل عبد الملك الكوفة • • وبذلك لم يبق خارجا عن سلطان عبد الملك إلا الحجاز • •

فوجه عبد الملك جيشا الى مكة يقوده الحجاج بن يوسف الثقفى لقتال عبد الله بن الزبير • • فسار اليه ، فلما وصل مكة حصر فيها ابن الزبير ، ورمها بالمجانيق ، واشتدت الحال على أهل مكة من وطأة الحصار ، فتفرقوا عن عبد الله بن الزبير وخرجوا بالامان الى الحجاج ، حتى لقد فارق ابن الزبير ، ابنه حمزة وخبيب !

وأسقط فى يد عبد الله • فدخل الى أمه أسماء بنت أبى بكر فقال :

- يا أماه • • خذلى الناس حتى ولدى وأهلى ، ولم يبق معى الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا • • فما رأيك ؟ • •

فقالت :

- أنت أعلم بنفسك • ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو • • فامض له فقد قتل عليه أصحابك • • ولا تمكن من رقبته يتلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت • • أهائكت نفسك ومن قتل معك • • وان قلت كنت على الحق ، فلما أوهم أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين • • كم خلودك فى الدنيا ! • •

القتل أحسن ! • •

فقال :

- يا أمه . أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمشلوا بى
ويصلبونى

فقالت :

- يا بنى : ان الشاة لاتتألم بالسليخ فامض على بصيرتك ،
واستعن بالله ..

فقبل عبد الله رأس أمه وقال :

- هذا رأى الذى خرجت به دائبا الى يومى هذا ..
ماركنت الى الدنيا ، وما أحببت الحياة فيها ، وما دعانى الخروج
الا الغضب لله ، وأن تستحل حرماته ، ولكنى أحببت ان اعلم
رأيك فقد زدتنى بصيرة .. فانظرى يا ماه فانى مقتول يومى
هذا .. فلا يشند حزنك وسلمى الامر الى الله .. فان ابنك
لم يتعهد ايثار منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم يجر فى حكم
الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعهد ظلم مسلم أو معاهد ،
ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به ، بل أنكرته ، ولم يكن
شئ أثر عندى من رضا ربى ..

اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسى ، ولكنى أقوله تعزية لأمى حتى
تسلو عنى

فقالت أمه :

- لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلا .. أن تقدمتنى

احتسبتك ، وان ظفرت سررت بظفرك ٠٠ اخرج حتى أنظر
ما يصير اليه أمرك

فقال :

- جزاك الله خيرا ، فلا تدعى الدعاء لى

فقالت :

- لا أدعه لك أبدا فمن قتل على باطل فقد قتل على حق

ودعت أسماء له قائلة :

- اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بمسا قضيت ،

فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين

فتناول يديها ليقبلهما فقالت :

- هذا وداع فلا تبعد

فقال لها :

- وداعا يا أماء لانى أرى هذا اخر أيامى من الدنيا

قالت :

- امض على بصيرتك وادن منى حتى أودعك

فدنا منها ، وقبلها ، وعانقها وهى تمر بيديها على وجهه

وقد كف بصرها ٠٠

ثم خرج عبد الله فقاتل حتى قتل ٠٠ وبعد قتله أمر ذلك

القاسى الحجاج بن يوسف فصلبت جثته ، ثم أنزلت بأمر من
عبد الملك ..

وماتت أسماء بعد مصرعه بقليل وعمرها مائة عام

ابن جلا

وبعد قتل عبد الله بن الزبير ، أصبح الأمر لعبد الملك فى
جميع الامصار الاسلامية وبقي الحجاج واليا على مكة والمدينة ..
مدة من الزمن ، استخف فيها بأهلها وأساء اليهم ، وختتم
فى المدينة أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استهزاء بهم
وتنكيلا ..

وفى عام ٧٥ هـ نقل عبد الملك الحجاج بن يوسف عن ولاية
الحجاز وولاه العراق .. فسار الحجاج الى الكوفة حتى دخلها .
فبدأ بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خبز حمراء ..
فاجتمع اليه الناس وهو ساكت قد أطال السكوت ثم كشف
اللباس عن وجهه وقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى
يا أهل الكوفة انى لارى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ،
وانى لصاحبها .. وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ..
واستمر يخطب حتى قال :

ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، نشر كنانته بين يديه فعجم
عيدانها فوجدنى أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا فرماكم بى لانكم
طالما أوضعتم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مراقد الضلال ...
والله لاحزمكم حزم السلمة ، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل .

... وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم
لحاربة عدوكم مع (المهلب بن أبي صفرة) واننى أقسم بالله
لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه .

يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين
فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد الله - عبد الملك أمير
المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين - سلام عليكم
فلم يقل أحد شيئا ..

فقال الحجاج

- أكف يا غلام

ثم أقبل على الناس فقال :

- أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا ! أما والله
لاؤبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن .. اقرأ يا غلام كتاب
أمير المؤمنين .

فلما بلغ الى قوله سلام عليكم ، لم يبق أحد فى المسجد
الا قال :

- على أمير المؤمنين السلام

ثم نزل الحجاج ، فوضع للناس أعطياتهم .. فجعلوا يأخذون ،
ثم أتاه شيخ يرعش كبرا .. فقال :

- أيها الأمير ، انى من الضعف على ماترى ، ولى ابن هو
أقوى على الاسفار منى فتقبله بدلا عنى

فقال الحجاج : نفعل أيها الشيخ

فلما ولى ، قال قائل :

- أتدري من هذا أيها الأمير ؟

- لا

- هذا عمير بن ضابئ ، دخل على عثمان مقتولا فكسر ضلعا

من أضلاعه

فصاح الحجاج : ردوه

فلما رد ، قال له :

- أيها الشيخ • ان فى قتلك صلاحا للمسلمين • • يا حرس

اضربن عنقه •

ثم ذهب الحجاج الى البصرة • • فخطب فيها خطبة تشبهه

خطبته فى الكوفة • • وحذر الناس أن يتخلفوا بعد أخذ

أعطياتهم عن التوجه مع ابن أبى صفرة لمحاربة الخوارج فأتاه

رجل يشكرى فقال :

- أيها الأمير ، ان بى فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرنى

• • وهذا عطائى مردود الى بيت المال • •

فلم يقبل الحجاج منه وقتله • • ففرغ لذلك أهل البصرة

وخرج الحجاج حتى نزل « رستقباد » فى شعبان سنة ٧٥ ومعه

وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ١٨ فرسخا فقام فى

الناس فقال :

- ان الزيادة التي زادكم ابن الزبير في اعطياتكم لست
أجيزها ..

فقام اليه عبد الله بن الجارود وقال :

- انها ليست بزيادة ابن الزبير ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين
عبد الملك أثبتها لنا ..

فكذبه الحجاج وتوعده .. فخرج عليه ابن الجارود ، وتابعه
وجوه الناس ..

فقاتله الحجاج حتى قتله وقتل جماعة من أصحابه ، وبعث
برؤوسهم الى المهلب وهو يقاتل الخوارج !

وهكذا حكم الحجاج العراقيين ، وساسهم بالعنف والشكيمة
وأنزل فوقهم وفوق الخوارج خاصة سيفه البتار .. يقطع
رءوسهم حتى بلغ من قتلهم ألوفاً وألوفاً ..

ولقد نجح الحجاج في اخماد الفتن ، وتمكين الامر للأمويين
في العراق وخراسان ؟ وما فتح في المشرق من أرضين ..
وكذلك شنت الخوارج وكبح جماحهم وقتل رجالهم .. وكان
الفضل الأكبر في حروبهم وقتلهم لذلك القائد الكبير المهلب
ابن أبي صفرة ولا بنيه المغيرة ويزيد ..

ولم تجيء سنة ٨٦ حتى سكنت كل فتنة .. وعلا الحجاج
في المشرق لا يعارضه أحد ، ولا يقبل أن يعادى الى جوارحه في
العراق انسان .. يضطهد أهل العراق ويدل عظماءهم ويسرف

فى القتل لتأييد سلطانه وسلطان الخليفة حتى ضج أهل العراق ، وبحثوا دون جدوى ، عن منقذ أو حام من عسف الحجاج وتلفت العراقيون حولهم عن بلد يهرعون اليه هربا من طغيان الحجاج ، فكانت أبصارهم ترتد حسرة .. اذ وجدوا الوليد فى الشام وهو الذى مكن للحجاج فى المشرق وترك له الامر يجور فيه ماشاءت له نفسه .. وهو الذى يتولى الأمر فى الشام فى حزم وشدة أيضا .. فكيف ينفذون من نار الى نار .. وكيف يخرجون من العراق الى الشام ليقعوا فى براثن الوليد فينكل بهم ، فيأمر بقتلهم أو يعيدهم الى العراق أذلاء خاضعين .. وكذلك هم لا يستطيعون الهجرة الى الحجاز .. فولاة الوليد فيه لم يعرف عنهم عدلا ولا رحمة .

وتلفتوا الى مصر عليها تكون منفذا ، فوجدوا على رأسها عبد الله بن عبد الملك أخا الخليفة ، يرتش من الناس ويحب المال حبا جما ، ثم رأوا عليها قرة بن شريك من أشد خلق الله يعيث فى مصر فسادا ويرتكب المنكر حتى لقد أمره الوليد ببناء جامع مصر والزيادة فيه ، ففعل .. وكان الصنيع اذا انصرفوا من البناء دعا بالخمور والزمر والطبول ، فيشرب الخمر فى المسجد طول الليل .. ويقول :

- لنا الليل ولهم النهار

وكاد يسقط فى أيدي العراقيين الذين يحسون شدة الحجاج عليهم ، وأظلمت الدنيا أمامهم .. ولكن نورا انبثق فى الحجاز أعاد الأمل الى نفوسهم ، واتجهت قلوبهم وأبصارهم اليه فقد

بدأ الخير يعم أنحاء الحجاز ٠٠٠ والعدل ينشر أشعته في ربوعه
٠٠ فقد تولى الامر فيه عمر بن عبد العزيز

وهرع كثير من العراقيين الى الحجاز لاجئين فرادا وجماعات
وتوالى مهاجروهم الى مكة والمدينة ينشدون فيهما عدل عمر بن
عبد العزيز

أمير الحجاز

استعمل الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز على الحجاز
(المدينة ومكة والطائف) ٠٠ وكان عمر يرى أن الوليد قد
حكم الامصار عن طريق عماله حكما شديدا يتخلله كثير من
القسوة والظلم ٠٠ وهو لا يريد أن يجارى الوليد وامراءه بل
يريد أن تكون له طريقته الخاصة في الحكم والادارة ٠٠ فأبطأ
عمر عن الخروج الى الحجاز ٠٠ فقال الوليد لحاجبه :

- ويلك ما بال عمر لا يخرج الى عمله ٠٠ قال :

- زعم أن له اليك ثلاث حوائج قال :

- عجله على ٠٠

وجاء عمر الى الوليد وسأله عن سبب تأخره فقال عمر :

- انك استعملت من كان قبلي ، فأنا أحب ألا تأخذني بعمل

أهل العدوان والظلم والجور ٠٠

فقال له الوليد :

- اعمل بالحق وان لم ترفع الينا درهما واحدا

وهكذا اشترط عمر قبل أن يتولى الامارة أن تترك له حرية العمل . . ثم دخل المدينة واليا على الحجاز سنة ٨٧ وكان عمره لا يتجاوز خمسة وعشرون عاما . .

ونزل في المدينة دار جده مروان . . وبعد أن صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة منهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة (وهو الذي تأدب عليه عمر صغيرا) وغيرهما من سادة الفقهاء . . فلما دخلوا عليه أجلسهم ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- انى انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه اعوانا على الحق . . ما أريد أن اقطع أمرا الا برأيكم او برأى من حضر منكم . . فان رأيتم أحدا يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فأخرج الله على من بلغه ذلك الا بلغنى . .

فخرج الفقهاء من عنده يجزونه خيرا

وسار عمر في المدينة أحسن سيرة ، رغم أنه كان غنيا متأنقا ، يرتدى أجود الملابس وأثمنها ، وكان يرخى شعره ، ويسيل أزاره ، ويتبختر في مشيته فلقد كان عمر من أعظم الأمويين ترفها وتملكا . . غذى بالملك ونشأ فيه وعاش في عزه وثرائه . . كانت تعصف ريحه فينتشر شذاها في المكان الذى يمر فيه وكان يمشى مشية تسمى (العمرية) فكان الجوارى يتعلمنها من حسننها وتبختره فيها . . ولما ولى الخلافة فيما بعد . . أراد أن يغير مشيته فلم يستطع تركها اذ كان قد اعتادها . . فربما قال لمزاحم موله وملازمه :

- ذكرني اذا رأيتني أمشي . . فيذكره فيخلطها ثم لا يستطيع
الا اياها فيعود اليها . . ولكن عمر لم يكن في ذلك ما جئنا ولا
عابثا . . وهو مع تأنقه وتعطره لم يطعن في سيرته أو حكمه . .
بل كان ورعا تقيا لا يترك صلاة ، ويمتلاء قلبه بتقوى الله ،
وعن أبي عمر مولى أسماء بنت أبي بكر قال :

- خرجت من جدة بهدايا لعمر بن عبد العزيز ، وهو على
المدينة فأتيته في مجلسه الذي يصلي فيه الفجر ، والمصحف
في يده ودموعه تسيل . .

وقدم أنس بن مالك ، خادم النبي صلى الله عليه وسلم من
العراق الى المدينة وعمر أميرها . . وكانت تعجب أنس صلاة
عمر ، فصلى أنس خلفه فقال :

- ماصليت خلف أمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أشبه صلاة بصلاة رسول الله من امامكم هذا . .

وكذلك لم يكن تأنقه في ملبسه ومشيته تيهها وعجبا
وكبرياء . . فقد كان حكيما متواضعا ، كان يزور الناس في
بيوتهم وكثيرا ما كان يذهب الى دار معلمه القديم عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة بدل أن يحمله وهو شيخ هرم على المجيء
الى داره . .

وكان في المدينة عالم شيخ يدعى سعيد بن المسيب لا يأتي
أميرا ولا خليفة فأرسل عمر بن عبد العزيز رسولا اليه يسأله
عن مسألة في العلم . . فأخطأ الرسول فقال لسعيد :

- الامير يدعوك .. فأخذ نعليه وقام الى عمر .. فلما رآه
وكان يعرف جفافه وتقشفه واعتزاله الولاة والحكام ، اعتذر
اليه قائلا :

- يا أبا محمد ، انا أرسلنا رسولنا ليسألك عن حاجتنا ،
ولم نرسله ليدعوك ولكنه أخطأ ..

وحدث له مع هذا العالم نفسه حادث آخر يدل على شدة
تواضعه اذ خرج ذات ليلة الى المسجد .. فقام ليصلي وكان
حسن الصوت .. فصلى قريبا من سعيد بن المسيب .. فقال
سعيد لغلामه برد :

- ليس المسجد لنا

فسمع ذلك عمر فأخذ نعليه، وتنحى الى ناحية من المسجد ..

وأخذ عمر يعمر المدينة ، ويمهد دروبها والطرق المؤدية
اليها ، والطرق المختلفة في أنحاء الحجاز .. وحفر الآبار ..
وعمل عمر بالمدينة الفوارة التي يستقى منها أهل المدينة
وأجرى اليها الماء ، وأمر لها بقوام يقومون عليها وأكبر اصلاح
أتمه في المدينة هو بناء مسجدها من جديد .. اذ أمره الوليد
في السنة التالية لولايته المدينة ان يهدم المسجد النبوي ،
ويهدم بيوت أزواج الرسول ويدخلها في المسجد ، ففعل
واشترى دورا في مؤخر المسجد ونواحيه ليزيد المسجد
اتساعا .. وجاءه عمال وبناءون من الشام .. وبدئت عمارة
المسجد النبوي .. وأدخلت فيه جميع الحجر التي كانت

لازواج رسول الله . . ولم يبق الا حجرة عائشة التي فيها القبور الثلاثة . . وكان من رأى بعض أهل المدينة أن لا تكون فى المسجد خشية أن يستقبلها بعض المسلمين فى صلاتهم يشبهونها بالكعبة . . ففكر فى ذلك عمر . . وهداه فكره الى أن يثالث جهتها الشمالية حتى تنتهى بزاوية لا يمكن استقبالها فصار شكل الحجرة خمسا

وبعد أن أتم بناء المسجد حج الوليد سنة ٩١ فلما وصل المدينة دخل ومعه عمر بن عبد العزيز الى المسجد ينظر الى بنائه فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد الا ذلك العالم الزاهد ، سعيد بن المسيب . . فقد بقى فى المسجد ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرج به . . وما عليه الا ربطتان ماتساويان خمسة دراهم . فقليل له :

- لو قمت ١٠٠ !

فأبى أن يقوم قبل الوقت الذى كان يقوم فيه قبل :

- فلو سلمت على أمير المؤمنين . .

فأبى أن يقوم اليه

فجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء أن لا يرى سعيدا حتى يقوم . . فحانت من الوليد نظرة الى القبلة فقال :

- من ذلك الشيخ ؟ أهو سعيد بن المسيب . . قال عمر :

- نعم . ومن حاله كذا وكذا . . فلو علم بمكانك لقام فسلم

عليك وهو ضعيف البصر . .

قال الوليد :

- قد علمت حاله ونحن نأتيه .. فدار في المسجد حتى أتاه فقال :

- كيف أنت أيها الشيخ ؟ ..

فرد سعيد دون أن يقوم للخليفة أو يتحرك ..

- بخير والحمد لله .. فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ ..

قال الوليد : خير والحمد لله

وانصرف الوليد وهو يقول لعمر :: هذا بقية الناس ! ..

كيف بخبيب !

وكما أمر الوليد ببناء المسجد النبوي في المدينة أمر ببناء المسجد الأموي بدمشق .. وامتاز عهد الوليد بالبناء والاصلاح والتعمير في مختلف الامصار ، لا في الحجاز فحسب .. ولكن الحجاز امتاز في عهد عمر بن عبدالعزيز بالعدل نشره في ربوعه والجدود أسبغه على محتاجيه .. كان اذا أراد أن يجود بالشئ يقول :

- ابتغوا أهل بيت بهم حاجة ..

ولم يظلم عمر أحدا .. ولم يقس على أحد بغير حق ، غير أن حادثا عارضا جرى في المدينة أيام ولايته .. جعل ينغص على عمر حياته وكلما تذكره امتلاء ندما ورهبة من الله .. ذلك أن الوليد بعث الى عمر بن عبدالعزيز أن يضرب خبيب بن

عبد الله بن الزبير . . . لانه سب الامويين فنفذ عمر أمر الخليفة . .
ويظهر أن خبيبا كان ضعيف البنية واهن الجسد فأفضى الضرب
الى موته . .

ففزع عمر عندما علم بموته . .

وكان اذا ما صنع خيرا ، أو فعل أمرا طيبا . . فقليل له :
- انك قد صنعت كذا فأبشر . . فيقول : وكيف بخبيب !

الرحيل

هذا الرجل الورع الذي يخشى الله في أمر كهذا كان للمقدر
السبب الاول في وقوعه كان من شأنه أن يحسن ادارة الحجاز
بالعدل والقسطاس . . وأن يرعى الله في معاملة الناس . .
فأعاد الى هذه البلاد رونقها وسيرتها الاولى في بدء الاسلام . .
وانتشر صيت عمر في الآفاق . . واتجهت أنظار العراقيين
اليه بعد ما أصلاهم الحجاج من العذاب صنوفا وألوانا . .
فهاجروا أفرادا وجماعات الى الحجاز ومكة . . ليستظلوا بعدل
عمر وجوده ، وليستمتعوا في كنفه بالحرية والمساواة . .
وغضب لذلك الحجاج فزاد عسفا وجورا . . وازداد العراقيون
شكوى . . وهربا الى مكة والمدينة حيث يقصون فظائع الحجاج
وألوان عدوانه . . فكتب عمر الى الوليد يخبره بظلم الحجاج
وسفكه الدماء وما يفعل بأهل العراق . . وخوفه عواقبه . .

وبلغ ذلك الحجاج فأضعفه ذلك على عمر . . وكتب الى الوليد :

ان مراق أهل العراق وأصل الشقاق قد جلوا عن العراق

ولجأوا الى مكة والمدينة وأن ذلك وهن ٠٠ وأوعز الى الوليد بعزل عمر ٠٠ فكتب اليه الوليد يستشيريه فيمن يولييه مكة والمدينة ٠٠ فأشار عليه بعثمان بن حبيان ٠٠ وخالد بن عبد الله فعزل ابن عمه عمر بن عبد العزيز وولى خالدا مكة وعثمان المدينة ٠٠ فأخرجوا عنوة من كان فيهما من أهل العراق ٠٠ وهددوا من أنزل عراقيا أو آجره دارا واشتدا على أهل مكة والمدينة قسوة وجورا

وخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة بعد عزله سنة ٩٣ بعد ست سنوات من العدل والاحسان والاصلاح فيها وتذكر وهو يبتعد قول رسول الله : ان المدينة تنفى خبثها ٠٠ فالتفت الى المدينة ٠٠ وتأمل المسجد النبوي وبكى وقال لمولاه :
- يامزاحم ٠٠ انى أخشى أن أكون ممن نفته المدينة ! ٠٠

نصيحتك يا أبا حفص

غادر عمر المدينة الى دمشق ، وقد جرب بنفسه أصول الإدارة والحكم ولبت الى جوار ابن عمه خليفة المسلمين يرى أخطاءه فلا يتردد عن أن يبينها له ، وكان يتقدم اليه بنصائح يرى الخير فيها ٠٠ كما أن الوليد نفسه كان يستنصحه ويستشيريه كلما عن له ٠٠

أرسل الوليد مرة الى عمر فى الظهيرة فى ساعة لم يكن يرسل اليه فى مثلها فدخل عمر عليه ، فوجده مقطبا مغضبا فقال الوليد :

- اجلسى هاهنا . . فجلس ولم يكن لديه الا خالد بن الريان قائما بسيفه

فقال الوليد :

- كيف ترى فيمن سبب الخلفاء ؟ . . أترى أن يقتل ؟ . .

فسكت عمر . . فانتهره وقال :

- مالك لا تتكلم . . فسكت ، فعاد الى مثاتها . فقال عمر :

- هل قتل ياأمير المؤمنين ؟ قال :

- لا ولكنه سب الخلفاء . .

قال عمر :

- فانى أرى أن ينكل بمثل ما انتهك من حرمة الخلفاء

فرفع الوليد رأسه الى ابن الريان وخيل الى عمر أنه يقول له اضرب عنقه . . ثم قام الوليد ، ودخل الى أهله وانصرف عمر . .

ودخل عمر بن عبد العزيز على الوليد بن عبد الملك فقال :

- يا أمير المؤمنين ان عندى نصيحة . . فإذا خلا لك عقلك

واجتمع فهمك فسلنى عنها . . قال :

- ما يمنعك منها الآن ؟ قال :

- أنت أعلم اذا اجتمع لك ما أقول فأنتك أحق أن تفهم . .

فسكت الوليد أيامه ثم قال : يا غلام من بالباب ؟ فقبل له .
ناس وفيهم . عمر بن عبد العزيز . فقال : أدخله . فدخل عليه
فقال الوليد

- نصيحتك يا أبا حفص . فقال عمر :

- انه ليس بعد الشرك اثم أعظم عند الله من الدم . وان
عمالك يقتلون ويكتبون ان ذنب المقتول كذا وكذا وأنت
المسئول عنه والمأخوذ به فاكتب اليهم ألا يقتل أحد منهم
أحدا حتى يكتب اليك بذنبه ، ثم يشهد عليه ، ثم تأمر بأمرك
على أمر قد وضع لك . قال الوليد :

- بارك الله فيك يا أبا حفص . واستمع الوليد لنصيحته
وكتب بذلك الى الامصار . فلم يخرج من ذلك الا الحجاج .
فانه أمضه وشق عليه وأقلقه . وظن أنه لم يكتب الى أحد
غيره . فبحث عن ذلك فقال : من أين دهينا ؟! و من أشار
على أمير المؤمنين بهذا ؟! فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو
الذي فعل ذلك . فقال :

- هيهات ان كان عمر فلا نقض لأمره . ثم ان الحجاج
أرسل الى اعرابي جاف حروري (من الخوارج) ، فجىء به
فقال له الحجاج : ماتقول في معاوية ؟ فقال منه
فقال له : ماتقول في يزيد ؟ فسببه

قال : فما تقول في عبد الملك ؟ فجعل منه ظلما

قال : فما تقول في الوليد ؟ قال : أظلمهم حين ولاك

وهو يعلم عدوانك وجورك ١٠٠! فسكت عنه الحجاج ، ثم بعث به الى الوليد وكتب اليه : أنا أحوط لدينى ٠٠ وأرعى لما استرعتنى ، وأحفظ له من أن قتل أحدا لم يستوجب ذلك ٠٠ وقد بعثت اليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأى . وشأنك وإياه ٠٠

فدخل الحرورى على الوليد وعنده أشراف الشام وعمر فيهم . فقال له الوليد :

- ماتقول فى ؟ قال :

- ظالم جائر جبار ١٠٠!

قال : ماتقول فى عبد الملك ؟ ٠٠ قال : جبار عات قال :
فما تقول فى معاوية ؟ ٠٠ قال : ظالم . قال الوليد لابن الريان :

- اضرب عنقه

فضرب عنقه ٠٠ ثم قام الوليد فدخل منزله ٠٠ وخرج الناس من عنده فقال الوليد : يا غلام ، أردد عمر ، فردّه عليه فقال :

- يا أبا حفص ماتقول فى هذا ؟ ٠٠ أصبنا فيه أم أخطأنا ؟ فقال عمر :

- ما أصبت بقتله ، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب . . . كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته فقال :
- شتمنى وشتم عبد الملك ٠٠ وهو حرورى ٠٠ أفتستحل ذلك ؟ ٠٠ قال :

- لعمرى ما استحلله .. لو كنت سجننته ان بدا لك أو تعفو عنه .. فقام الوليد مغضباً فقال ابن الريان لعمر :
- يغفر الله لك يا أبا حفص .. لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرنى بضرب عنقك فقال عمر :
- لو أمرك كنت تفعل ؟ قال :
- أى لعمرى .. قال عمر :
- اذهب .. اليك عنى

ويقال أنه لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز جاء خالد بن الريان وكان صاحب الحرس فى عهد عبد الملك والوليد وسليمان فنظر اليه عمر وقال :

- ياخالد ضع هذا السيف عنك

ثم نظر عمر فى وجوه الحراس فدعا عمرو بن مهاجر الانصارى فقال :

- والله انك لتعلم يا عمرو أنه ما بينى وبينك قرابة الا قرابة الاسلام .. ولكنى قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلى فى موضع تظن ألا يراك أحد فرأيتك حسن الصلاة خذ هذا السيف قد وليتك حرسى ..

وسلم السيف الى عمر .. بعد أن نزعاه عن خالد وهو يقول :

- اللهم انى قد وضعت لك خالد بن ريان وانى لاذكره بأوھه وتيهه ، اللهم لا ترفعه أبدا ..

فما رؤى شريف قد حمد ذكره حتى لا يذكر كما حمد ذكر

خالد بن الريان .. كان الواحد يقول : ليت شعري ما فعل
خالد .. أحي هو أم ميت ؟

ولم يكن عمر راضيا عن الوليد ، ولا عن أحكامه في مختلف
الامصار وقد كان يقول عندما يذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من
ولاة الامصار أيام الوليد :

- الوليد بالشام ! والحجاج بالعراق ! وقرة بن شريك
بمصر ! وعثمان بالمدينة .. ! وخالد بمكة ! اللهم قد امتلأت
الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس .

ولم يمض غير قليل حتى توفي الحجاج وقرة بن شريك ثم
تبعهما الوليد ، وعزل عثمان وخالد وكان الله قد استجاب لعمر
ولما أتى نعي الحجاج بن يوسف دخل الناس على الوليد
يعزونه .. ولم يعزه عمر فوجد الوليد من ذلك وقال :

- ما منعك يا عمر أن تعزيني في الحجاج كما عزاني الناس ؟
فقال :

- يا أمير المؤمنين .. انما الحجاج منا أهل البيت .. فتعزن
نعزي به ولا نعزي فيه . قال :

- صدقت

★ ★ ★

وكان رياح بن عبيدة قاعدا عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر
الحجاج فشتمه .. وكان له السبب .. فقال عمر :

— مهـلا يا رياح .. انه قد بلغنى أن الرجل ليظلم ..
فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفى حقه
ويكون للظالم فضل عليه ..

وقال عمر بن عبد العزيز بعد وفاة الحجاج :

— ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى اياه على حبه
القرآن واعطائه أهله .. وقوله حين حضرته الوفاة :
— اللهم اغفر لى فان الناس يزعمون أنك لا تفعل ..